هو العلم

الطريق الوحيد للوصول إلى الواقع

والقرب الإلهيّ

أخطار العلم من دون تهذيب صالحة ومن دون تعبّد

الولاية التكوينيّة - الجلسة الخامسة

المحاضرة الثانية

آية الله الحاج السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

سرّه الله سدّد

@MadrastAlwahy

أعوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطانِ الرَّجيمِ

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحيمِ

وصلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنا ونَبيِّنا وحَبيبِ قُلوبِنا

وطَبيبِ نُفوسِنا أبي القاسِمِ المُصطَفَى مُحمّدٍ

وعَلَى آلِهِ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ المَعصومينَ المُكَرَّمينَ

واللَّعنُ عَلَى أعدائِهِم أجمَعينَ

مِنَ الآنَ إلى قيامِ يومِ الدّينِ

غيرة الله تعالى تمنع غيره من الوصول إلى حريمه

قال الله الحكيم:

﴿إذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾.[1]

---

1. سورة ص، الآيتان ٧١-٧٢.

إنّ هذه الأيام هي أيّام عزاء سيّد الشهداء عليه السلام. ولرفع الشدائد عن شيعة أمير المؤمنين، والتعجيل في فرج إمام الزمان، صلّوا على محمد وآل محمد.

آلت تتيجةُ المواضيع السابقة إلى المسألة التالية:

هي أنّ الملائكة كان لديهم في بواطنهم اعتقادٌ تامٌّ بالمصلحة التامّة لأوامر الله تعالى ونواهيه، وكذلك الحال بالنسبة لحضرة الشيطان؛ فمن هذه الناحية، لم يكن هناك فرقٌ بينه وبين الملائكة.

وعندما قلتُ «حضرة» الشيطان، فذلك لأنّه ـ على الله ما كنّا نظنّ ـ يتمتّع بمقامٍ عالٍ جدًّا؛ وذلك لأنّ الله تعالى له مقام العزّة والغيرة، وهو المانع من وصول غيره إليه. وإذا كان من المقرّر أن يصل كلّ أحدٍ إلى ذلك المقام، لَخَرَجَ الله من مقامه كإله؛ لأنّ ذلك المقام هو مقام العزّة، والعزّة مختصّةٌ بالله تعالى، ولا يستطيع أيّ أحدٍ الوصول إليه. ذلك المقام هو مقام الغيرة، ولا يمكن لأيّ

شخصٍ عابثٍ أن يصل إليه. يقول المرحوم الشيخ الزّين:

«جَلَّ جَنابُ الحَقِّ عن أن يكونَ شريعةً لِكُلِّ وارِدٍ»[1].

إنّ مقام عزّة الله تعالى أسمى من أن يتمكّن كلّ وافدٍ من دخوله.

إبليس حاجبٌ يمنع الأغيار من دخول حرم الله تعالى

من هذا، جعل الله تعالى لمقامه حارساً وحاجباً، ليمنع أيّ شخصٍ فيه أدنى رائحةٍ من الغيريّة أو الأنانيّة من أن يأتي إلى هناك. لهذا، فإنّ حضرة الشيطان وإبليس، ليس فقط حاجباً ومانعاً لي ولك ـ على كلّ حال، نحن لا نحتاج إلى حاجب، فنحن موجودون هنا في المراتب الدنيا! ـ بل إنّه لا يسمح لعظماء الأولياء والأنبياء، والذين لم يصلوا إلى مقام المخلَصين، بالوصول إلى هناك. إذن، لا بدّ أن يكون الشيطان قويًّا جدًّا! فما هذه القوّة التي أعطاها الله له ليكون حاجباً

---

1. الإشارات والتنبيهات، ص ١٤٩.

ومانعٌ للإنسان مهما كانت قوّته ومهما كان مقامه؟! فهو

يتغلّب على الجميع، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ﴾[1]؛ أي: إلّا في ذلك

الموضع الذي يُمسك الله بيد الإنسان، ويُظهِر هذا

الإنسان عجزه؛ هناك، تغلب رحمة الله تعالى على

غضبه وقَهره، ولا يستطيع الشيطان أن يفعل شيئًا.

خطأ بعض المفسّرين في بيان علّة اعتراض الملائكة وجوابه

لقد اعترض الملائكة على الله تعالى بسبب خلقه

آدم؛ لأنّهم كانوا مطّلعين على المستقبل.

﴿قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ

وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا

تَعۡلَمُونَ﴾[2].

قالت الملائكة: يا الله! أنت تخلق وتُنشئ أناسًا

سيكونون مفسدين وسفّاكين للدماء، في حين أنّنا

موجودات نسبّح ونقدّس لك بالحمد والشكر؟! فقال

تعالى: «أنا أعلم ما لا تعلمون!»

---

1. سورة يوسف، الآية ٥٣.

2. سورة البقرة، الآية ٣٠.

:ءاملعلا ضعبلوقي

إنّ الملائكة لا يعلمون الغيب و لا المستقبل. وبما أنّ هناك أفرادًا كانوا يعيشون على هذه الأرض قبل خلق آدم، وكانوا من أهل سفك الدماء و الفساد وما شابه ذلك، فقد شبّه الملائكة هذا الجيل بالجيل السابق وقالوا: «إنّ هؤلاء الأفراد السابقين على الكرة الأرضية كانوا على هذا النحو، فماذا استفدتَ وماذا حصّلتَ من نتائجَ من المخلوقات السابقة، لتأتي وتخلق مثلهم مرّة أخرى؟!»[1].

دسفُيسهّنأ ؛ أي ﴿أهيفُدِسفُيِ نَمَ أهيفُلَعجَتَأَ أوَلُاقَ﴾ فيها. ولكن، يبدو أنّ هذه المسألة غير تامّة؛ وذلك لأنّ الملائكة تقع في عالم المجرّدات، والعالم المجرّد فوق عالم المادّة؛ وفي عالم المجرّدات ـ وهو عالم الثوابت ـ كلّ شيء موجودٌ بشكل ثابت، ولا حاجة لمرور الزمان. فمن دخل عالم التجرّد لا يحتاج إلى مرور الزمان لكي تتّضح له الأمور، بل سيكون كلّ ما سبق وما سيتأخّر

---

1. ج ١، نآرقلا ريسفتي فى فصلالأ؛ ص ١٣٢، ج ١، نآرقلا ريسفتي فنايبّتلا ص ٢٤.

واضحٌ بالنسبة إليه. فالزمان يُطرح بالنسبة لي ولكم، حيث تتّضح لنا المسائل بمرورِه. وأمّا الأفراد الذين يصلون إلى عالم الملكوت، فإنّ الزمان لا يُطرح هناك، بل إنّ كلّ ما كان في الماضي وما سيكون في المستقبل، كلّه موجودٌ أمامهم بشكلٍ موحّد. وبناءً على ذلك، فإنّ الملائكة مطّلعون على ما قبل وما بعد.

وعلى هذا الأساس، كان اعتراضهم على الله تعالى هو: «يا الله! نحن نُسبّحك ونُقدّسك. وبما أنّ لديك عبادٌ بهذه الطيبة، وكلّ هذا العدد من الملائكة، حيث لديك ملائكة مقرّبون، ولديك ملائكةٌ في حالة ركوعٍ دائم أو سجودٍ دائم أو قيام، فما الذي ينقصك لتخلق خلقًا آخر سيبدأ بالفساد وسفك الدماء وما شابه ذلك؟! فلا حاجة لك بعدُ إلى ذلك».

الله على الملائكة اعتراض بسبب الأسرار الإلهية على اعتراض الناس

﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بمعنى: «لا يحقّ لكم التطفّل في هذا الأمر!». أمّا التعبير المؤدّب والأكثر لباقةً فهو ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾!

فالملائكة لم يكونوا مطّلعين؛ ولو كانوا مطّلعين، لما اعترضوا على الله. إنّ كلّ هذه الاعتراضات نابعةٌ من الجهل. ولأنّنا جاهلون، نسأل دومًا: «لماذا هكذا؟! ولماذا ذاك؟!». لو كنّا مطّلعين، لما اعترضنا! كما أنّهم لا يستطيعون الإفصاح عن الأسرار، لذا لا خيار لديهم سوى أن يقولوا: «لا يحقّ لك التطفّل»، أو «ستفهم ذلك لاحقًا!» أو «لنترك الآن هذا الموضوع!». ولكنّ التعبير العامّي هو «لا يحقّ لك التطفّل»! أي أنّه لا يوجد لديك الاستيعاب ولا الاستعداد لفهم ذلك! ولا يُمكننا أيضًا إخبارك بذلك؛ فلو أخبرناك لأنكرت! لذا، لا تطلبوا منّي أن أقول كلّ كلمة؛ تذكّروا ذلك!

ةقلِخلا نم فدهلا وه لماكلا ماقم ىلإ لوصولا

ومن هنا، اعترض الملائكة وقالوا: «يا الله! نحن نقدّسك ونسبّحك؛ فإذا أردتَ أن يركع الجميع لك، أو يسجد الجميع لك، أو ينام الجميع، أو يقف الجميع، فنحن موجودون! فما الحاجة إلى عبادٍ آخرين؟!». ولكنّ حساب الله تعالى منفصلٌ عنّا، وهو يقول:

مابريي ازپاک ونپاکیهمه **وزگرانجانی

وچالاکیهمه

منذکردمخلقتاسودی کنم **بلکهتابربندگان

جودی کنم[1]

يقول:

نحن منزّهون عن كلّ من الطهر والنجاسة **وعن

ثقل الروح (الكسل) وخفّتها (النشاط) جميعاً.

ما خلقتُ الخلق كي أحصد منفعة **بل لأجود على

العباد وأمنحهم فضلاً

يقول: إنّ هذه الخلِقة التي قمنا بها، ليست من أجل أن

نحصل على نفعٍ منها، بل هي قائمةٌ على أساس أن يصل

بعض الخلق إلى الكمال. إنّ الوجود البسيط الذي لديه

القابليّة لكلّ أنواع الاستعدادات يتحوّل - بواسطة خلق الله

تعالى الذي يتنزّل من مقامه - إلى استعدادٍ تامّ، ليحصل

كلّ واحدٍ من [المخلوقات] على موقعه الخاصّ به؛ لهذا،

فإنّ اعتراض الملائكة ليس في محلّه.

---

1. المثنوي المعنوي (ميرخاني) الكتاب الثاني، ص ١٤٩.

مدآ لبقٍ دارفأ دوجوب ديفتٌ ةياور

أمّا نحن، فمن اعتراض الملائكة نفهم مسألةً واحدة، وهي أنّه: لدينا في الروايات، ونُقِلت روايةٌ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سُئل: «هل كان هناك أفرادٌ على الأرض قبل خلق آدم أم لا؟» فقال الإمام: «بلى، كانوا موجودين». فسُئِلَ: «هل كان هناك أفراد قبل هؤلاء أيضًا؟». فقال الإمام: «نعم، كانوا»[1]. اذكهو

الحديث هذا: إنّ واحدةً من الآيات التي تدلّ على أنّ الحديث تتحدّث الإنسان أشرف المخلوقات، هي هذه الآيات التي تتحدّث عن اعتراض الملائكة. فعندما يعترض الملائكة: «يا الله، لماذا تأتي بخلقٍ أقلّ منّا نحن نسبّحك؟» يقولون: ولو كان هذا الاعتراض تتضمّنه هذه المسألة: لو كان هذا الكائن فيه أفرادٌ قبل خلقه أفرادٌ في الأرض قد خلق الله تعالى، وكان هذا الكائن مجالٌ لاعتراض الملائكة، لما كان هذا الكائن مرتبطًا، ومقامًا، ومرتبة. لهذا، لم يكن باستطاعة الله أن يقول لهم: ﴿إِنِّي

---

[1] راجع: قصص الأنبياء عليهم السلام، الراوندي، ص ٣٥ ـ ٤٠؛ تاريخ اليعقوبي، ج ١، الفصل الثالث، ص ٤٨.

﴿نَوُمَلعَتَ لَا ُمتُنأ مَلعَأ﴾؛ لأنّ الملائكة كانوا سيعلمون بهذا السرّ قبل خلقتنا، وهذا الخَلق الجديد سيكون مثلهم، تمامًا مثلهم. إذن، في هذه الحالة، لم يكن باستطاعتهم أن يعترضوا. فلو كان الله قد خلق مثلنا من قبل، لكان هؤلاء الملائكة قد اطّلعوا على ذلك الخَلق وعرفوا هذه الخصائص، وعرفوا السرّ الذي وضعه الله في وجود الإنسان ولم يضعه في بقيّة الأشياء. في هذه الحالة، لما اعترضوا، بل لَقالوا: «هذا أيضًا مثل ذاك». فلأنّه لم يكن هناك موجودٌ مثل الإنسان من قبل، فقد ظنّوا أنّ آدم أيضًا مثل البقيّة، ولأنّهم لم يروا هذه الخصائص في خلق من المخلوقات السابقة، فقد ظنّوه مُضاهيًا للبقيّة، واعترضوا. وإلاّ، لم يكونوا ليعترضوا.

نكاو ولد مدآ لبقة دارفلأ ةكئلاملا دوجسد ةرورض مهيف أدوجوم مدآ رّسد

من هنا، يُمكننا أن نستفيد أنّه: لو كان هناك إنسانٌ قبلنا في مقامنا ومكانتنا، ولو كانت تلك الخاصّية التي وضعها الله تعالى في وجود الإنسان قد وُضِعَت في وجود أمثال الإنسان في المخلوقات السابقة، لوجب على

الملائكة أن يسجدوا لهم قبل أن يسجدوا لآدم! وذلك لأنّه طبقًا للقاعدة الشائعة بين الطلاّب، فإنّه يُقال: «حُكمُ الأمثالِ فيما يجوزُ وفيما لا يجوزُ واحِدٌ»[1]. إذا كان المتماثلين في الصفات أيضاً كيس المتماثلين في الشيئان الصفات الوجوبيّة والسلبيّة. فهل كان بسبب أمر الله أن يسجدوا لآدم هو السبب الوحيد لسجود الملائكة له أم أنّ ذلك يرجع إلى أنّه تعالى قال: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فكان ذلك بسبب جهلهم، وبسبب سرٍّ كان الملائكة جاهلين به. ولو كان ذلك السرّ موجودًا في الأجيال التي سبقت آدم، لوجب على الملائكة أن يسجدوا لهم قبل أن يسجدوا لآدم؛ فلماذا يجب عليهم السجود لآدم؟! لأنّ هذه الخاصّية موجودةٌ هناك أيضًا بنفس الكيفيّة! فالله تعالى لا يقوم بأفعالٍ شكليّة وخالية من

[1]. ص ٣٢٣، ج ٢، الرازي، الفخر، المحصول في علم أصول الفقه.

الحكمة والمصلحة مثلنا، فيقول: «لأنّني أريد ذلك، اسجدوا لآدم!»[1].

ملاعلا عم ةلماكلا ةيعيرشتلا رماولأا قباطت ينيوكتلا

لهذا، فإنّ الأفراد الذين يقولون: «هناك فاصلةٌ بين الخَلق والأمر» هم مخطئون تمامًا؛ فلا يوجد أيّ فاصلٍ أصلاً بين الخَلق والأمر! فالموضوع المطروح اليوم هو: «ما المشكلة في أن يكون التكوين على أساسٍ ونهجٍ منفصل، وأن تكون أوامر الله ونواهيه وشرعه على أساسٍ منفصل، فلا تكون هناك علاقة بينهما؟!»؛ وهو نفس الكلام الذي يقوله الأشاعرة! يقولون: «لا بأس أن يأمر اللهُ الإنسانَ بالمستحيل؛ فالله قادرٌ مطلق، فهو يأمر، وحتّى عندما لا نستطيع أن نُنفّذ، فإنه يعاقبنا

---

[1] ةكئلاملا ىلع ءلم الملاكئة وأشرفيّة الإنسان على عالم الملائكة من المزيد من الاطّلاع، راجع: أفق وحي (فارسي) ص ١٣٠ ـ والمسائل ذات الصلة بهذه الأبحاث؛ أسرار الملكوت، ج ٢، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

ويعذّبنا! فهو جبّار ويُمكنه فعل كلّ شيء، سواءً رضينا أم لم نرض!»[1].

عم يرشتلا قباطتم لزوم دع ىرى نم ىلعُّد نيوكتلا

:ءاملعلا ءلاؤهل وقي

«عالم التكوين (عالم الخَلق) له حساباته الخاصّة به: فمن ناحية، خلق الله الإنسان على أساس شاكلة معيّنة، ووضع في نفسه مجموعة من الخصائص. ومن ناحية أخرى، تنتاب الله تعالى رغبةٌ، فيشرِّعُ الأوامر والنواهي؛ إذ تُراودُه رغبةٌ، [فيقول]: «يا هذا، صلِّ الصبحَ ركعتين، لا ثلاث ركعات؛ إنّها إرادتي!» لماذا؟! «هذا ليس شأنك! الأمرُ كذلك وحسب!».

نأ بجيِ ةعيرشلا هذه يه أنّ :كلذ نكلو نوكيأ نأ ليلاف.اهلأ ةقيقحلا عم قباطتتل

---

[1] لهأ ىلعّدرلا يفعملا ؛١٣٨ ص ،يّرعشلأا ،ةنايدلا لوصأ نع ةنابلإا ؛٩٨ ـ ١٠١ ص ،يّرعشلأا ،عدبلاو غيّزلا ،نسحلا يبأ خيشلا تلاقم ؛١١١ ص ،يّرعشلأا ،ةلعلا بلاطلا ،يّزارلا رخفلا ،كورفن ابّ ،يّنلاقلابا ،ديهمتلا ؛٢٩٦ ص ،٤ ج ،يّزانازتفتلا ،دصاقملا حرش ؛٣١٣ ـ ٢٩٤.

نوكي،نيحي فيُن،يوكتهنمقّحتينأو ،أدوجو ىلاعتالله .الطاريقالذي ضعهه لهذا الكتاب نمخلافًا لماشكلته

لييبس ىلع:هّنأ يهي مهملاكن م صَلختستُتي تلا ةجيتنلااو ةحلصم-نيوكتلا رظنةهجو نم-كانهنوكتدق،لماثلا هدسجلا أديفم نوكي ،رمخلا بشر يف نسانلإلا ةمّاتة تلكاشمع ةّحلصموّ ةديفمّ ةقلاعهيدل نوكتو ،هحورو بّجوتيف ،ىلاعتالله نمّيهذ هبقّلعتي نكلو ،امهعمجأب .ءلاؤهؤلهوقيي ذلا ملاكلا وهاذهفإهكرتتنأ انيلع

يقولون: «إنّ للوجود حساباته الخاصّة به. والقيمة المترتّبة على الأحكام مبنيّةٌ على الاعتبارات؛ فالله يأمر اليوم، وينهى غدًا. بمعنى أنّ نهيًا قد يكون في وقتٍ ما مجرّد إرضاء للمولى (لا لأنّ فيه مصلحة)، وفي وقتٍ آخر يكون سببًا لغضبه، ولا تكون له أيّ علاقة بوجود ذلك الشخص. وعلى العكس: من المحتمل أن تكون الصلاة مضرّةً للإنسان من جميع الجهات؛ أيّ أنّها في صميم الواقع وعالم التكوين مضرّةٌ للنفس والروح وخلايا الإنسان، ولكنّ الله تعالى رغب في إيجابها على

الإنسان». هذا خطأٌ عظيمٌ جدًّا! يجب أن تتوافق الشريعة مع الحقيقة؛ فالشريعة هي طريق الحقيقة. إنّ من يصنع شيئًا، يُبيّن أيضًا طريقة استخدامه، فيقول: «عزيزي، اذهب من هذا الطريق، لا تذهب من ذاك؛ قم بهذا العمل، لا تقم بذاك؛ وإلاّ فإنّه سيتلف!».

الكلمة الوثيقة بين الله ورواده الأوفياء

بناءً على ذلك، فإنّ العالم الوجودي لديه علاقةٌ وثيقةٌ بنوع الأفعال والسلوكيات التي يجب أن تُستخدم فيه. إنّ علاقةٌ وثيقةٌ بين الله تعالى وهو الذي خلقنا على هذا النحو، هو الطريق الوحيد الذي نتخلّى عن أنانيتنا. فإذا لم يكن هذا هو الطريق الإلهيّ في غير محلّه، فإنّه سيضرّ بالكائنات الموضوعة في ذلك الطريق؛ فالأمر يقتضي حساسيّةً إلى هذا الحدّ!

قالت الملائكة: «لماذا خلقتَ آدم؟ إنّ آدم هذا مثل الأفراد السابقين!» فأجاب الله تعالى: «إنّ آدم الذي خلقتُه يتمتّع بخاصّيةٍ لم تكن موجودةً في الأفراد الآخرين؛ ولو كانت موجودةً في الأفراد الآخرين،

لَوجب عليكم أن تسجدوا لهم أيضًا!». وبما أنّه لم يكن لدى الملائكة أيّ خلفيّةٍ سابقة عن السجود وخصائص آدم، فإنّنا نفهم أنّ الإنسان أشرف المخلوقات. هذه مسألة.

أوجه التشابه بين إبليس والملائكة

أوّلًا: الجهل بسرّ آدم

المسألة الأخرى هي: هل كان إبليس مطّلعًا على ما كان الملائكة مطّلعين عليه؟ لو لم يكن إبليس مطّلعًا، لما كان عليه حرج؛ ولكنّه كان مطّلعًا! فمقدار ما يعلمه الملائكة عن خِلقة الإنسان، يعلمه إبليس أيضًا. الملائكة جاهلون بالمسألة العليا، وهو مقام "لي مع الله"؛ وبسبب هذا الجهل، فإنّهم يعترضون على الله تعالى. إبليس أيضًا جاهلٌ بنفس المقام؛ لذا، لا يوجد من هذه الناحية أيّ اختلافٍ بين الملائكة وإبليس.

ثانيًا: وجوب طاعة الأوامر الإلهيّة

والخلاف ينشأ هنا، حيث إنّ الملائكة، من ناحية، وبسبب حدود وجودهم المضمونة بالفعليّة التامّة، وصلوا إلى الفعليّة التامّة؛ لذا فإنّهم يعلمون أنّ أوامر الله تعالى واجبة الطاعة؛

تعالى لا يأمر أبدًا بخلاف المصلحة. فالله تعالى حقٌّ مطلق، وأمره أيضًا حقٌّ مطلق، وهو أمرٌ مولويٌّ يجب إطاعته والقيام به، سواءً علمتُ أم لم أعلم. هذا ما يعلمه الملائكة؛ وإبليس أيضًا يعلم هذا الأمر تمامًا دون زيادة أو نقصان، حيث يعلم بدوره أنّ أوامر الله يجب أن تُطاع؛ ولهذا، فقد عبده تعالى آلاف السنين الربوبيّة (لا السنين الماديّة) جنبًا إلى جنب مع الملائكة[1]؛ عبادةً كانت مبنيّةً على التشريع وأمر الله تعالى ومقتضى المصلحة في العبادة: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾[2]؛ فكان جنبًا إلى جنب مع الملائكة، ثمّ ارتكب العصيان والفسق.

إبليس والملائكة يشتركان هنا من جهة أنّ كليهما يعلم أنّ أوامر الله مُطاعة؛ وكلاهما جاهلٌ أيضًا من

---

[1] لمزيد من الاطّلاع على هذا المقام العرفانيّ، راجع: معرفة الله، ج ١، ص ٩٦ ـ ١٠٥.

[2] نهج البلاغة (صبحي الصالح)، ص ٢٨٧:

«فَبَدَا للهِ سُبْحَانَهُ أَنْ يَخْتَبِرَ الْمَلَائِكَةَ فِي بَعْضِ مَا لَا غِنَى بِهِ عَنْهُ مِمَّا قَدْ كَانَ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، فَأَخَذَ مِنْهُمُ الْإِقْرَارَ بِالطَّاعَةِ لِمَا أَرَادَ وَالْإِذْعَانَ بِالسُّجُودِ لِمَنْ أَمَرَ، فَقَالَ لَهُمْ: اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَتَنَ بِنَظَرِهِ الْبَاطِلِ وَاسْتَكْبَرَ بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِهِ فَأَهْلَكَ نَفْسَهُ بِالْعَصَبِيَّةِ وَأَحْبَطَ عَمَلَهُ بِالتَّعَظُّمِ فَكَانَ بِذَلِكَ إِمَامَ الْمُتَعَصِّبِينَ وَسَلَفَ الْمُسْتَكْبِرِينَ الَّذِينَ تَضَعْضَعَتْ عُرُوقُ الْحَمِيَّةِ فِيهِمْ وَتَمَكَّنَتْ فِيهِمْ فَرْعَةُ الْكِبْرِيَاءِ فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ....»

الناحية التالية: ما هو السرّ الذي وضعه الله في آدم، والذي لم يكن موجوداً في المخلوقات السابقة، والذي من أجله أمر تعالى الملائكة بالسجود؟ في هذه النقطة، كلاهما جاهلٌ ولا يعلم؛ فلو كانا يعلمان، لسجدا؛ تماماً كما كانا يسجدان لله تعالى حتى الآن. إنّ السجود الذي كان الملائكة والشيطان يؤدّونه لله كان قائماً على أساس القيّمة المطلقة التي كانوا يشعرون بها في وجوده وذاته تعالى؛ ولهذا السبب كانوا يسجدون. ويبقى أنّ الكلام عن هذا الموضوع يحتاج إلى تفصيل طويل جداً.

ثالثاً: إبليس والملائكة يرون نفسيهما أعلى من آدم

هذا، وبما أنّهم كانوا يعلمون بذلك المقام، فقد كانوا يسجدون لله تعالى؛ ولكن لأنّهم كانوا جاهلين بالإنسان، فإنّ ذلك الجهل أدّى بهم إلى مقارنة أنفسهم به، فرأوا أنفسهم أعلى منه؛ كلاهما، الملائكة وإبليس، قارنا نفسيهما بالخَلق الجديد ورأيا أنّهما أعلى منه.

الفرق الوحيد بين الملائكة وإبليس هو مراعاة جانب العبوديّة والأدب

كانوا أشخاصاً من هذا الخلق، فالملائكة، ولأنّهم يعلمون بالمصلحة، وكان جانب العبوديّة فيهم تامّاً، قالوا: «سواء كنّا أعلى أم لا، فإنّنا نسقوم بالسجود!» وأطاعوا، وأظهروا الأدب؛ بالتالي، صاروا من المفلحين.

أمّا حضرة إبليس، فقد قارن نفسه بالإنسان. لقد كان جاهلاً بمقام "الله معي"، حيث يقول النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله: «لِي مَعَ اللهِ حالاتٌ لا يَتَحَيَّلُها مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرسَلٌ»[1]، أي: «عندما أتقرّب إلى الله من عالم النفس، أجد حالاتٍ معه من وجهة نظر السير الصعوديّ، وأصل إلى مكان لا يستطيع أيّ مَلَكٍ مقرّب أن يشعر به ـ ولو كان جبرائيل ـ ولا أيّ نبيٍّ مُرسَل». بمعنى أنّني أصل إلى مقام دجويّ لا، هو ذاك؛ "الله معي"! كان إبليس أيّ فاصلٍ بين العبد والله. ولأنّ الملائكة

---

[1] ٧٩، ج ٣٦٠؛ ص ١٨، ج ، راوالأنوار؛ بحار الأ٤٤؛ ص ١، ج ، جامع السعادات؛ ٢٣٤، مع اختلاف يسير.

جاهلون بهذا المقام، فقد اعترضوا؛ ولكنّ الملائكة أظهرت الأدب، في حين لم يظهر إبليس هذا الأدب: فقد بدأ بالمقارنة؛ وهنا، غلبه الهوى، فعصى أمر الله.. هذا هو الفارق! هنا، عصى إبليس على الرغم من أنّه كان يعلم أنّ الله تعالى أمره بالسجود.

رفض العبوديّة لله هو سبب فشل الإنسان في الوصول إلى الحقّ

من هذا، ندرك أنّ جميع المسائل والمشاكل التي نُواجهها ناجمةٌ عن أنّنا لم نفهم معنى التعبّد كما يجب. فأحيانًا، يذهب الإنسان في طلب أمرٍ حقّ، ويكون قصده من الحصول على هذا الأمر الحقّ هو أن يشعر به ـ وبخصائصه ـ بالوجدان، ثمّ يعمل به. إنّ هؤلاء الأفراد سيفشلون مائة بالمائة في الحصول على الحقائق، ولن يصلوا أبدًا إلى الواقع؛ لأنّ قدرتهم واستعدادهم الفكري والذهنيّ لن يصلا أبدًا إلى قدرة واستعداد الحقّ المطلق. بل إنّ الإنسان لا يُمكنه إيصال هذه الاستعدادات إلى الفعليّة إلاّ عن طريق السلوك والطريق العمليّ.

لهذا، لو جعلنا أساس عملنا في البداية قائمًا على أن نفهم الواقع على حقيقته [أوّلًا]، لكي نعمل بعد ذلك، فلن نصل أبدًا إلى هذا الواقع، وسنكون دومًا عُرضةً للقلق والاضطراب والشكّ، بحيث لو عشنا خمسمائة أو ستمائة سنة أو خمسة آلاف سنة، لما وصلنا إلى الواقع أبدًا؛ لأنّ هذا الأساس يُبنى على الرمال.

الطريق الوحيد للتقرّب إلى الله هو التعبّد له

إنّ شرط القرب من الله هو التعبّد له والانقياد له وتحصيل رضاه تعالى، حيث يتقرّب الإنسان إلى الله عندما يكون جانب التعبّد فيه قويًّا، فيقول: «أنا أعمل لأنّك أنت الذي أمرتَني!» وليس: «أنا أعمل لأنّني أفهم ذلك!»؛ إذ سيقول الله: «لن تفهم أبدًا! متى ستفهم؟! متى ستفهم حكمة أن تكون صلاة الصبح ركعتين؟! متى ستفهم حكمة أن تكون صلاة الظهر أربع ركعات؟!».

هذا أمرٌ عجيبٌ جدًّا! هذه هي المسائل الدنيا المتعلّقة بي وبك، وإلاّ فإنّ هذا الكلام لا مكان له في موضعٍ آخر.

إنّ المشكلة التي نقع فيها ونُبتلى بها هي أنّنا اخترنا طريقين لمسارنا العمليّ وفصلنا بينهما: الطريق الأوّل، هو طريق التعبّديات والعباديّات؛ والطريق الثاني، هو طريق المسائل الاجتماعيّة والنفسانيّة والسلوكيّة. فإذا قيل لنا: «صلاة الصبح ركعتان»، فإنّنا لا نعترض ولا نتكلّم؛ ولكن، إذا قيل لنا: «افعل هذا العمل»، فإنّنا نسأل: «لماذا؟». ما الفرق في ذلك؟! على سبيل المثال، إذا قيل لنا: «صلِّ على النبيّ وآله خمسمائة مرّة في اليوم»، فإنّنا لا نعترض، ونعتبر هذا الأمر أمرًا حقيقيًّا؛ ولكن إذا قيل لنا: «غدًا، اذهب وقم بالعمل الفلانيّ»، فإنّنا نعترض ونقول: «سيّدي، لماذا علينا أن نفعل هذا؟!» إذا قيل لنا: «قم في الليل وصلِّ صلاة الليل»، فإنّنا نطيع لأنّها أمرٌ صادر من النبيّ، أو على الأقلّ لا نعترض؛ ولكن إذا قيل لنا: «اجعل مسارك العمليّ على هذا النحو؛ واجعل فكرك وخطّتك في هذا المسير على هذا الأساس؛ واجعل مسارك العمليّ والسلوكيّ في هذا الوقت على هذا النحو؛ واجعل مواجهتك للمسائل على هذه

الكيفيّة»، فإنّنا نعترض في أنفسنا ولا نقوم بذلك! وذلك لأنّنا نعتبر هذه الأمور منفصلةً عن التعبّديات والمسائل الواقعيّة والحقيقيّة. فنحن نعتبرها مسائلَ عادية، ونعتبر أنفسنا أعلى وأجلّ من شخصٍ عظيم ومرشدٍ. ولكن لأنّ أشباه الأذكار والأوراد والعباديّات والتعبّديات لا قيمة عمليّة لها في نظرنا، ولأنّنا نعتبرها أمورًا تافهةً، فإنّنا لا نفكّر في هذه المسائل؛ في حين أنّني أُقسم بالله، إنّ المشكلة والعقدة والابتلاء في هذه الأذكار والأوراد والخصائص التي وُضِعَت لكلّ فردٍ على حدة، هي أكبر بكثيرٍ من المسائل الاجتماعيّة!

لجأ نم دارفلأا تلااحب ذاتسلأا ةطاحإ ةرورض ةيكولسلا رماولأا ەحرط

إنّ الإحاطة والاطّلاع على جوانب وخصائص الضمائر والنفوس التي كان [الأعاظم] يمتلكونها في هذا المقام ويتحدّثون عنها، كلّها لها دورٌ في هذه المسائل، وهي تشكّل الركن الأساسيّ لتربية الفرد. إنّ مسألة العمل والسير إلى الله ليست مسألةً عاديّةً ومُملاةً مُسبقًا، وليست ـ كما يُقال ـ مسألةً مُعدّةً، لكي يقوم بها أيّ

أحد، ويُقال له: «خذ هذه الوصفة وانطلق!». لا أبدًا! بل إنّ جميع الخصائص النفسيّة الموجودة الآن وسابقًا وفي السنوات القادمة، وحتّى في المقام الذي يجب أن يصل فيه الإنسان إلى الفعليّة، يجب أن تُراعى من قِبَل الشخص الذي يأمر، والذي عليه أن يأخذ في الاعتبار الحالات التي كانت موجودةً في ذلك الإنسان منذ ولادته، وحتى الحالات التي يصل إليها في النهاية، ثمّ يقول له: «افعل هذا العمل».

إنّنا بعيدون جدًّا عن هذا المقام! أين المسائل الاجتماعيّة من هذا؟! فنجد أيّ شخصٍ قد سار خطوتين واطّلع على شيءٍ ما، صار خبيرًا بالمسائل الاجتماعيّة! فنراه يقول: «هذه ليست شيئًا، هذه ليست مسألةً! فالأشخاص العاديّون يعلمون ما سيحدث بعد ذلك، ويقولون: "لا تفعل هذا العمل، وافعل ذاك". فهذه ليست شيئًا!».

وبما أنّ الأمر يبدو لنا تافهًا إلى هذا الحدّ، فإنّنا نعتبر الأذكار والأوراد أمورًا تافهةً، ونتدخّل في المسائل

الاجتماعيّة والسلوك العمليّ ونبدأ بالاعتراض: «يا سيّدي، ماذا عن هنا؟! ماذا عن هناك؟! لقد أخطأ الأستاذ هنا، ولقد أحسن في هذا الموضع! كان من الأفضل لو كان الأمر هكذا، وذاك كان من الأفضل لو كان بتلك الطريقة!».

يا عزيزي، هذه ليست شيئًا! أنا أعرف شخصًا ليس من السلاّك، ولا من السائرين في طريق العرفان، ولم يفعل شيئًا، فقط انكشفت له بعض الأمور؛ فأخبرني بنفسه عن كلّ المسائل؛ لقد أخبرني عن كلّ ما حدث في الماضي حتى الآن، وما سيحدث في المستقبل، كلّه أخبرني عنه! ولكنّني لا أخبر أحدًا! هو ليس بسالكٍ، ولا قد سار في طريق العرفان، لا شيء، لا شيء... بل هو شخصٌ عاديٌّ. هذه ليست شيئًا يا عزيزي! لقد أخبر بجميع الخصائص، ماذا يحدث الآن، وماذا سيحدث لاحقًا. وحتّى الآن، كلّ ما قاله كان صحيحًا، إذن لا بدّ أن يكون ما سيحدث لاحقًا صحيحًا أيضًا.

امف ؛أدحاو أقيرط انقيرط لعجن أ انيلع بجي ،اذه لِادجسّي أرملأا لبقي لا ،اذهو .ةعاطاو دّبعتلاّ لاإ قيرطلا !هلاخ تيبي لإ بهذيفلد لادجلا ديريي نمو ؛باوجتسا وأ !اذه اهلا نكمي لا ثيداحلأا هذهف

إبليس، على الرغم من أنّه كان يمتلك العلم، إلا أنّه لم يستخدمه. كان يعلم أنّ الأوامر الإلهيّة قائمةٌ على أساس المصلحة، وأنّ هناك حقيقةً هنا، ولكنّ الهوى غلبه على الأمر [الإلهيّ]؛ فقد استعان بالمواهب الخفيّة التي وضعها الله في وجوده، وضرب بأمره تعالى عرض الحائط؛ تمرّد ولم يسجد. فقال له تعالى: «حسنًا! بما أنّك تمرّدت، فلا بدّ لي من القضاء عليك؛ فنحن نقضي على جميع المتمرّدين!». فقال: «لا! يا الله، أمهلني!».

فرأى الله تعالى أنّه قد خلق شيئًا عجيبًا! في رأيي، لم يجد أحدًا أفضل من الشيطان ليجعله حاجبًا وحارسًا لحضرته! حتّى جبرائيل لا يستطيع مقاومته! الشيطان

قويٌّ جدًّا ومرتفعٌ إلى درجة أنّه لو وصل شخصٌ إلى مقام جبرائيل، فإنّ الشيطان سيأتي ويقف في طريقه، ويقول له: «لن أدعك ترتقي إلى الأعلى؟!».

إنّ العمل الذي يقوم به الشيطان ليس أن يبتلي الناس بالزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والغيبة، والافتراء؛ فهذه أعمالٌ عاديّةٌ يقوم بها الناس بأنفسهم! عمل الشيطان ومسؤوليّته هي أن يقف عند مقام جبرائيل، ويمنع أيّ شخصٍ يريد الصعود إلى الأعلى، ويقول: «إلى أين؟! لن أسمح لأيّ أحدٍ أن يتجاوز هذا المقام!». هذه هي المسألة!

إحاطة الشيطان بالوجود النفسيّ للإنسان

هو الذي يُزيّن المساوئ والوجود النفسيّ بحيث لا يُبقي للإنسان في المقامات؟ إنّه الشيطان! أمّا حبّ الظهور في النفس الإنسانيّة، فهذا لا يتعلّق بالمقام؛ بل إنّ الحالات التي تظهر لنا في ذلك الموضع (أدنى أنانيّة، أدنى

---

[1] السيّد عبد الكريم الحسينيّ الأردبيليّ، الدروس الأخلاقيّة، سلسلة محاضرات الولاية التكوينيّة، المحاضرة السادسة، الإسلام والإنسان.

يف ةيّقبتم[1] ةشاشُح ىندأو ،مامقلا ىلع ظافحلل ةلواحم

!اهرهظيذنمو هنإطيشلا نّإف ؛(اندوجو

إذن، يتّضح أنّ الشيطان يصعد مع الإنسان؛ فالإنسان يصعد خطوةً واحدة، وهو أيضًا يقول: «أنا أيضًا أتيت!»، ثمّ نصعد أعلى، وهو أيضًا يقول: «أنا أيضًا أتيت!»، فنقول له باستمرار: «عزيزي، دعني وشأني!». فيقول: «لا! أينما كنتَ، أنا معك!». نستمرّ في الصعود، وهو أيضًا يأتي؛ نصل إلى مقام الملائكة الأدنى ونتجاوزهم، وهو أيضًا يأتي؛ حتى نصل إلى جبرائيل، وهو أيضًا يأتي! فما هذا المقام الذي وصل إليه بحيث تسنّى له التواجد في كلّ هذه المراحل! لكن، عندما نريد أن نتجاوز هذا المقام، يعلو صراخه ونحيبه: «يا للعار! لقد أفلتَ مني واحدٌ!».

---

[1]: ١٢ص ،٢ج ،ةغللا سييايقم مجعم

.سْفّنلا ةيقب:ةشاشُحلا

قصّة لقاء الشيطان مع إبراهيم عليه السلام

لقد قرأتُ سابقاً رواية عن إبراهيم عليه السلام، وتفاصيلها لا تخطر ببالي، ولكن مضمونها هو هذا:

كان نبيّ الله إبراهيم ذات مرّة يتعبّد على قمة جبل عالٍ ويدعو؛ فجاء الشيطان وبدأ بالحديث معه. فقال له إبراهيم عليه السلام: «أنت تُضلّ كلّ هذا العدد من الخلائق والناس، فهل رأيتَ منّي شيئاً حتى الآن يُسبّب لي الابتعاد عن الله أو حالةً من الغفلة؟» فقال: «ما أنّك سألتني بنفسك، فسأقول لك: أتتذكّر الأوقات التي كانت تأتيك أذيزاً عظيماً[1] فيها حساءً تعدّه زوجتك لك؟ كان حساءً باللبن أو الزبادي طيّبًا. عندما يكون ساخنًا، تشربه، فيُعجبك قليلاً! في ذلك الوقت، تنتابك قليلاً حالةٌ من الغفلة عن الله؛ وهذا هو الوقت الذي آتي فيه إليك!».

فقال نبيّ الله إبراهيم: «لقد نصحتَني، ولكنّني تبتُ؛ لن آكل بعد الآن من الحساء الذي تعدّه زوجتي حتى لا

---

[1] «أذيزاً عظيماً» هو ما يقوله البعض: «أعُدّ لك حساءً» ليس مثل ما يفعله هذا الرجل أنّى لا يخلو من ذلك الاهتمام بالضرب أو مثل ذلك!

تنتابني هذه الحالة من الغفلة!» فقال الشيطان: «وأنا أيضًا تبتُ عن نصح أيّ أحدٍ بعد الآن!» (لم نتّفق على أن نفترق عن بعضنا البعض! لقد أتينا لنكون رفقاء! أنت قلتَ شيئًا فقلتُ أنا أيضًا شيئًا آخر؛ والآن بما أنّك تبتَ، فإنّني أيضًا تبتُ عن نصح أيّ أحدٍ!)[1]

الله ىّلص مركلأا ّيبنلا عم نانطيشلا راوح ةّصق هيف سأيلا داجيلإ هُيعسو هلآو هيلع

:اهيلإ ةراشلإا دّيجلا نمو ،ةلأسملا هذهنلآا ُتركّذت

في يومٍ من الأيّام، تجسّد الشيطان للنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم، وقال له: «يا رسول الله! أريد أن أخبرك بأمر: أتدري ما هو مقامي ومكانتي؟! لقد كنتُ شخصًا سجدتُ وعبدتُ الله لأربعة آلاف سنة (أو كما في روايةٍ أخرى أربعمائة ألف سنة)! أحيانًا كانت مسبحتي تسقط من يدي، فكان ثمانون ألف مَلَكٍ يتحرّكون وينزلون ويهرعون ليأخذوا تلك المسبحة (مسبحة الشاه مقصود)، ويضعوها في يدي مرّة أخرى!

---

[1] ريسيف لاتخا عم ،٣٤٠و ٣٣٩ ص ،ّيسوطلا خيشلا ،يلاملأا.

أتدري لماذا وصلتُ إلى هذا الحال الآن؟! لأنّني عصيتُ الله مرّةً واحدة!»[1].

يناديها الخيّاط الأصلع من حرمان نفسه من الله، ويقول:

إنّ هذه النصيحة التي قدّمها الشيطان للنبيّ لم تكن نصيحةً؛ بل كان يريد أن يوجد اليأس في النبيّ! (إنّه موجودٌ لئيم، ذهب حتّى إلى النبيّ!) لكي يقول له: «لا تتعلّق كثيرًا بهذه الأعمال والمقامات التي أعطاكَ إيّاها الله؛ فقد ترى فجأةً أنّه يُسقِطُكَ كما أسقطني!». إنّه يريد أن يوجد اليأس! لأنّ عمل الشيطان هو الشيطنة؛ فلا يمكن أن يصدر خيرٌ أو صلاحٌ منه![2]

ثبات الشيطان في إضلال الناس

إذا لقنا أيّ كلامٍ مرّات عديدة، كما ذكرتُ هذا، فإنّنا نعتاد عليه، ونؤمن به، ونعمل به. فإنّ الشيطان يعلم أنّ هذا الكلام الذي يقوله: ﴿كَتِبَ عِبَادِي﴾

---

[1]. ريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ٦٤٦ و ٦٤٧.

[2]. عجار: مجموعة آثار الشهيد مطهري، ج ٢، ص ٣١٦.

سيُضلّهم أنّه الله عزّة بقسم ويقسم ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]، جميعاً، لن يتراجع أبداً عن كلامه! لذا، من الآن فصاعداً، أينما واجهتموه، فاعلموا أنّه قد أقسم أنّه سيُضلّهم! أمّا كيفيّة فهم هذا الإغواء، فلها طريقةٌ خاصّة، الله أعطانا قد انتهت هذه الأيّام [هذا المجلس]؛ فإذا وفّق، فسنبحث هذه المسألة في وقتٍ لاحق إن شاء الله.

الأخطار المهلِكة لانعدام العلم دون نيّة خيِّرة

على كلّ حال، لم يكن هذا العلم مفيداً للشيطان.

لقد قلتُ في يوم عاشوراء[2]: إنّ سيّد الشهداء عليه السلام قال: «النّاسُ عَبيدُ الدُّنيا والدّينُ لَعِقٌ على أَلسِنَتِهِم يَحوطونَهُ ما دَرَّت مَعايِشُهُم فَإذا مُحِّصوا بِالبَلاءِ قَلَّ الدَّيّانونَ»[3]. إنّ الناس عبيدٌ للدنيا، فيستخدمون العلم من أجل الدنيا؛ أي أنّهم يتعلّمون كي يستفيدوا من علمهم في الدنيا. إنّ جميع الأفراد الذين تسبّبوا بالهزائم والضربات

---

1. سورة ص، الآية ٨٢.
2. **مباني الإسلام**، سلسلة محاضرات الولاية التكوينيّة، المحاضرة ١٠.
3. تحف العقول، ص ٢٤٥؛ لمعات الحسين، ص ٢٧.

التي تعرّض لها الإسلام والأمّة الإسلاميّة حتى الآن، لم يكونوا من الجاهلين؛ لأنّ الجاهل لا يستطيع القيام بعملٍ، بل إنّ جميعهم كانوا علماء، تقدّموا بعلمٍ ووجّهوا ضرباتهم بعلمٍ! فقد دخلوا من الطريق الصحيح، ومن الطرق التي يجب على الإنسان أن يكون دقيقًا جدًّا لفهمها! فنجد ظاهرهم موجّهٌ وجيّدٌ ومستحسن، ولكنّ باطنهم خطيرٌ جدًّا، وأخطر من سمّ الأفاعي!

إنّ العلم وحده لا يجدي نفعًا للإنسان، بل يجب على الإنسان أن تكون لديه إرادة الخير والإصلاح من هذا العلم كي يؤتي ثماره.

النهاية السيّئة لعالمٍ كان زميلَ بحثٍ آلية الله السيد جمال الدين الگلپايگاني

ذات مرّة، ذكر الوالد [العلّامة الطهراني] حكاية عن السيّد جمال الدين الگلپايگاني رحمة الله عليه قال فيها:

عندما كنتُ في النجف، كان لديّ زميل بحثٍ، وكان شخصًا ذكيًّا جدًّا، وفطِنًا، وعالمًا، ومُحصِّلاً، وفاضلاً، وموجّهًا، ثمّ أصبح مجتهدًا من الأعاظم؛ ثمّ جاء وودّعني وقال: «أنا ذاهبٌ إلى موطني في شاهرود».

ومنذ ذلك الوقت، لم أعد أسمع عنه أيّ شيء. مرّ وقتٌ طويلٌ على هذه القصّة، وذات مرّة، كنتُ جالسًا في الطابق العلويّ من منزلي في جوّ الصيف الحارّ، فسمعتُ الباب يُطرق. جاء طفلي وقال: «هناك رجلٌ حليق اللحية، يرتدي قبّعةً قديمةً وعصا، ويريد أن يتحدّث معك!». فقلتُ له: «قل له أن يصعد لأراه». فدخل هذا الشخص إلى نفس الغرفة التي كنتُ فيها. فجأةً، نظرتُ فرأيتُ شخصًا غريبًا جدًّا! رجلٌ حليق اللحية، يرتدي ربطة عنق وقبّعة، ويمسك بعصا في يده، تقدّم وقال: «ألا تعرفني؟!»، فقلتُ: «كلاّ، لا أعرفك!». لم أتعرّف عليه! فقال: «أنا فلان، زميلك في البحث!»، فقلتُ له: "قبّح الله وجهك! ما هذه التمثيليّة التي تقوم بها؟!».

فلم يتأثّر، وكأنّ شيئًا لم يحدث! جاء وجلس، و «بشنويد اي دوستان اين داستان!»[1] فقال: «يا سيّد،

---

[1] يمثّل هذا الجزء من بيت شعر للشاعر الفارسيّ نظامي الذي يعدّ من أعظم شعراء الفارسيّة في العصر الكلاسيكيّ. (انظر: الكتاب الأوّل، ص٦، من سلسلة مخزن الأسرار).

عندما ذهبتُ من النجف إلى شاهرود، وأصبحتُ عالمها الوحيد، بدأ الجميع بالتعظيم والتبجيل لي، وارتفعت مكانتي، وسمعتُ الهتافات: «لقد جاء حضرة الشيخ، لقد جاء حضرة الشيخ!»، وذبحوا لي الأبقار والأغنام، وزيّنوا المدينة، وصاحوا: «لقد جاء مرجعنا، لقد جاء ملاذنا، لقد جاء حجّة الإسلام!».

مضى على هذه القصّة بعض الوقت. في يومٍ من الأيّام، عاد إلى منزله. عندما ذهبتُ إلى هناك، رأيتُ مائدةً عُوضِتَ فيها ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾[1] باختصار، كلّ شيء من الأطعمة وغيرها كان موجوداً هناك، فبدأتُ بالأكل. بعد ذلك، رأيتُ أنّه من الضروريّ أن أغادر المجلس لأنّ بقائي فيه مضرٌّ بالإسلام ولا توجد فيه مصلحة! فقمتُ وخرجتُ.

---

[1] الزخرف، الآية ٧١.

في الأسبوع التالي، دعاني مرّة أخرى بمناسبةٍ ما، وقال: «يا شيخ، لدينا مجلسٌ بخصوص أوضاع البلاد. وعلى أيّ حال، أنت مجتهدٌ وحجّة الإسلام في المدينة؛ لا بدّ أن تأتي». فذهبتُ، ورأيتُ أنّهم وضعوا الخمر وأشياء أخرى على مائدة الطعام! فغضبتُ وتألّمتُ جدًّا، لأنّه قد أحضر الخمر على المائدة في وجودي، وأنا الذي جئتُ من النجف، وأنا حجّة الإسلام، وبهذه العمامة! فخرجتُ منزعجًا وذهبتُ إلى المنزل.

بعد بضعة أيّام، أرسل لي حضرة السلطان هديّةً من الدنانير الذهبيّة. (من تلك الدنانير التي كلّ واحدةٍ منها كالسهم في عين الإنسان؛ فالأوّل سهم، والثاني سهمٌ آخر، فتأتي هذه الدنانير الواحدة تلو الأخرى وتُصيب الإنسان). فأحضرها وقال: «يا شيخ، هذه من السلطان. أنت أعلم بالفقراء، والمحتاجين، والأيتام، وذوي الحاجة والسائلين؛ فقسّمها عليهم». فأخذتُها، وقلتُ: «حسنًا، سأضعها في مصارفها الخاصّة».

اعتذرنا وما إلى ذلك... ودعاني مرّة أخرى؛ فذهبتُ ورأيتُ أنّه لا يوجد خمرٌ في المجلس. كان المجلس منظّمًا ومحترمًا جدًّا؛ ولكنّني في نهاية المجلس رأيتُ أنّهم يتشاورون ويتهامسون، ويريدون أن يقولوا شيئًا، ولكنّهم يخجلون. فجاء أحدهم إلى حضرة الحاكم وقال له شيئًا، فقال الحاكم: «عليك أن تستأذن الشيخ! لا يُمكنني أن أُبرز رأيي هنا!». فقلتُ: «ما الأمر؟»، فقال: «يا شيخ، إنّهم يريدون أن يُبلّلوا شفاههم، وهم يخجلون منك، ويستحيون. لقد طلبوا الإذن، فلا تتدخّل في الأمر هذه المرّة، ولا تقل شيئًا، وأطرق برأسك، واسمح لهم أن يفعلوا ما يريدون بأنفسهم! لا توجد مشكلة!».

فلم أقل شيئًا وأطرقتُ برأسي، (والسكوت علامة الرضا!)، فجاءوا وأقاموا مأدبة شرب الخمر، وبدأ الجميع بالشرب. في هذا الوقت، قامت امرأةٌ من بين الحاضرين، وأحضرتْ إناءً من الخمر أمامي، وقالت: «يا شيخ، لا يُمكننا ذلك من دونك!». (فرفع رأسه ورأى أنّها حسناء! ورأى أنّه لا يمكنه أن يرفض طلبها،

وباختصار، لا يمكن للإنسان أن يُزعج قلب مؤمنٍ أو مؤمنة!!!). باختصار، بعد اللتيا والتي، شربتُ الكأس دفعةً واحدةً.

وبعد أوّل جرعةٍ، شعرتُ فجأةً أنّ نور الإيمان قد خرج منّي وذهب! ورأيتُ أنّني لم أعد ذلك الشخص السابق! لقد انتهى الأمر! فخلعتُ العمامة، (ومن الواضح إلى أين وصل الأمر)، والآن أنا مقرّبٌ جدًّا من السلطان!»[1].

إنّ العلم الذي كان لدى هذا الرجل لم ينفعه. فهل يمكنكم أن تجدوا شخصًا أفضل منه؟ مجتهدٌ، فاضل، وعالمٌ! فكيف يضع الشيطانُ وجنودُه الإنسانَ في هذه المصيدة الخطيرة؟! لقد جاءوا إلى هذا الشخص من الطريق الذي يأتون إلى القلوب الطاهرة، ولكنّهم يأتون من الضروري أن يكون الأمر خطرًا! يأتون بوسيلة أخرى؛ فجأةً، يرى هذا الإنسان أنّ إيمانه أيضًا، والمسائل التي يطرحها تختلف كثيرًا عن المسائل التي

---

[1] عجار: مطلع الأنوار (اليواقيت)، ج ٢، ص ٤١٥، الهامش.

كان يطرحها قبل عشرين سنة! شيئاً فشيئاً، يأخذون روح الإيمان منه ويجعلونه مثل بقيّة الناس. يأتون إلى هذا الشخص من هذا الطريق، ويأتون إلى الآخرين من طريقٍ أخرى، فإذا مُحِّصوا بالبلاء قَلَّ الديّانون! وفي هذه القضيّة، يا لها بحقّ من ابتلاءاتٍ حصلت! ويا لها من مسائل حدثت وتحدث!

قصّة انحراف عالِمٍ عظيمٍ في همدان في زمن رضا شاه

كان المرحوم همايوني ينقل:

في همدان نفسها، رأيتُ أنّه عندما خلعوا العمامات في زمن رضا شاه، قال أعظم عالِمٍ في همدان، والذي كان شيخًا محترمًا ومُبجّلاً، عندما رأى أنّه لا يتمتّع بمكانةٍ في أعين الناس: «إذن، لماذا درسنا كلّ هذه الدروس؟! ولماذا تحمّلنا كلّ هذه الصعوبات والآلام؟! إذا كان الأمر على هذا النحو، وأنّ الناس لن يهتمّوا بنا، فإنّنا سنترك كلّ هذه الدروس ونذهب للعمل من أجل مصلحة هؤلاء الناس؛ وإذا لم يكن هذا ممكنًا بهذا

اللباس، فبطريقةٍ أخرى! على أيّ حال، يجب أن نسهّل أمور الناس!».

فخلع العمامة، وأعطوه منصب القضاء ودخل في جهاز الحكم. ولقد أطلقوا عليه اسم "جاموس العلماء"!». لقد وصل هذا الرجل الفاسق الفاجر ـ بعد أن خلع لباسه ـ إلى درجة أنّ لُصوص همدان كانوا يستحيون منه! فأولئك الذين كانوا يقومون بكلّ عملٍ سيّء، كانوا يقولون: «لقد سبقنا هذا الرجل!».

أي: انظر أين يكون الإنسان، وإلى أين يمكنه أن يصل! والنقطة الأدقّ هي: قد يصل الإنسان إلى هذا الحدّ [أي لباس العلماء] فقد يقوم بأعمالٍ دون أن يخلع لباسه! وكم يا ترى من أيّ خشصٍ وضع الله فيه أذنى لا يقوم بها أيّ لئيم أو أيّ سئيم، ولكنّ الحالي لا يضر. أردتُ أن أطرح المزيد من المسائل، ولكنّ هذا الموضوع قد اتّضح على أيّ حال، ولا يقتضي ذلك، ما يتعلّق بالمسائل التي تحدّثنا عنها خلال الأيّام القليلة الماضية.

لم يكن لديّ أيّ نيّةٍ لطرح المواضيع التي تحدّثنا عنها في هذه الأيّام، بل كان قصدي من طرح هذه الآية الشريفة هو فقط بيان السير النزوليّ للإنسان، ومواجهته للمسائل التي يُبتلى بها في هذا السير، وكذلك بيان سيره الصعوديّ والمسائل التي تحدث؛ فأردتُ أن أتحدّث ضمن هذا النطاق، ولكنّ هذه الأمور حدثت من تلقاء نفسها، ولم يكن ذلك بيدي.

الحمد لله تعالى، تمّ طرح مجموعة من المسائل، ولكن، لا يمكن قول كلّ كلامٍ أو موضوع! في بعض الأحيان، قد يتسبّب قول طرح بعض المسائل بالمشاكل للإنسان والآخرين. لقد اكتفينا بهذا المقدار، ونترك المزيد إلى وقتٍ لاحق إن شاء الله تعالى؛ لأنّنا مأمورون بأن نضع المسائل في مكانها الصحيح وموضعها المناسب، حتى لا تحدث مشكلةً ولا يكون طرحها ثقيلاً. «لِكُلِّ مَقامٍ مَقالٌ» فيجب أن يُؤخذ في الاعتبار الكلام المناسب لكلّ موقف.

عاشفإ نع سينُخ نب ىّلعلا قداصلا مامإلا يهن رارسلأا

تذكّرتُ هذه الرواية: كان المعلّى بن خنيس أحد أصحاب سرّ الإمام الصادق، وكان الإمام يذكر للمعلّى أشياء، وكان هو ينقلها هنا وهناك، فتصل إلى مسامع الحكّام والسلاطين. كانوا يرون أنّ المواضيع التي تُطرَح في مجالس المعلّى تضرّ بجهازهم وتتعارض مع سياستهم، فبدأوا بإيذائه وتعذيبه. في يومٍ من الأيّام، قال الإمام الصادق عليه السلام للمعلّى: «بكلامك هذا، سيأتي يومٌ وتُصلَب فيه!». وهذا ما حدث! أخذوا المعلّى المسكين، وبسبب الكلام الذي قاله ـ وكان معارضًا للحكم ـ قاموا بصلبه[1] ؛ لأنّه [من وجهة نظر الحكّام] يجب أن يبقى هادئًا، على أيّ حال، [ولا يطلاسو ن] ؛ فبعد ذلك، قد يكون ما يكون، [من تُميل و تحفظة]: ميلوا وتُ!

1: ٤٥٢ ص ،٢ ج ،يناغلأا

قال: «...ةئيطخلا

.ًاقاقمِ لِكِلَّنَإ ُكيلَملا كَادَهَيَّ لَعنَّحَتَ

لهذا، لا يمكن الإفصاح عن كلّ شيء. فمن بين الحقائق التي بيّنها الأئمة عليهم السلام، كان الأئمة أنفسهم لديهم كلامٌ لكلّ واحدٍ [بما يناسب مقامه]: فكلّ واحدٍ من أصحابهم كان في مكانةٍ، والمواضيع التي كان يقولها الإمام الصادق أو الإمام الباقر أبي بصير أو محمد بن مسلم على سبيل المثال، لم يكونوا يصرّحون بها ـ بالتأكيد ـ لأفراد الذين كانوا في مرتبةٍ أدنى.

تراث السيدة الزهراء عليها السلام

هذا هو اليوم الأخير من هذا المجلس، ولنذكر فيه السيّدة الزهراء عليها السلام. لن أدخل في مقدّمات حول ما كانت عليه شقيقة بني ساعدة حقًّا، وما هي التهديدات التي وُضِعَت لها من قبل، وكيف جاء أفرادٌ مهرورون وذوو رأيٍ وأذكياء، ونفّذوا ذلك الأمر بشكلٍ دقيق ومحسوب.[1]

---

[1] ـ راجع: السقيفة وفدك، ص ٣٥ ـ ٩٤؛ الإمامة والسياسة، ج ١، ص ٢١ ـ ٣٣؛ تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٠٣ ـ ٢١١؛ أنساب الأشراف، ج ١، ص ٥٧٩ ـ ٥٩١؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٢٣ ـ ١٢٦؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٢؛ البداية والنهاية، ج ٥، ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠.

كانت لدى السيدة الزهراء عليها السلام خاصّيّةٌ عجيبة، والأمر أسمى من أن نفكّر في حيثيّاتها واستشهادها عليها السلام. كانت السيدة الزهراء سرّ النبيّ، وكان وجودها لطيفاً وحساساً ومتّصلاً بنفس النبيّ بدرجة أنّه لو لم يوقعوا عليها تلك المصائب بعد وفاة النبيّ الأكرم، لَكان فقدانه صلّى الله عليه وآله وسلّم بحدّ ذاته كافياً لإهلاكها.

إنّ حالات السيدة الزهراء وعلاقتها بالنبيّ غريبةٌ جدّاً! طوال حياة السيدة فاطمة الزهراء مع أمير المؤمنين عليه السلام، كان كلّ اهتمامها منصبّاً على النبيّ، وهذا أمرٌ لا يمكن قوله في كلّ مكان. كانت كلّ حياة السيدة الزهراء هي حياة النبيّ الأكرم، ولم يكن من الممكن أن يمرّ يومٌ عليها دون أن تراه مرّتين؛ وإذا لم تستطع أن تراه، كان هو بنفسه يأتي؛ لأنّه كان يعلم أنّه يجب أن يرى فاطمة وأن تراه فاطمة.[1]

---

[1] راجع: الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٣٤؛ الأمالي، الشيخ المفيد، ص ٣١٨؛ الأمالي، الشيخ الطوسيّ، ص ١٣٦ و٢٥١ و٤٠٠؛ مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ج ٣، ص ٢٣٢ و٢٣٣.

لهذا، في أحداث وفاة النبيّ الأكرم، عندما كانت الزهراء تبكي، أخبرها الصّلاة والسّلام عليه وآله بقرب لقائها به بعد ذلك، فتبسّمت وفرحت، وتوقّفت عن البكاء.[1]

إنّ النبيّ، لكَونه أقدر من الجميع على تقويم هذه الأوضاع عليها، لم يكن هناك حاجةٌ لأن تأتي وحدها كأيّ امرأة أخرى لإزعاجه. لم يكن هناك حاجةٌ لذلك[2] لتأتي وحدها؛ لم تكن هناك حاجة لتنحني وتقرّبي من الباب لتفتحيه، ولتقفي بعيدًا عنه، ولتتكلّمي معه من وراء الباب. لقد جاءت إلى جانب الباب دفاعًا عن زوجها (أمير المؤمنين عليه السلام).

قال عمر: «عندما سمعتُ صوت نحيب فاطمة، شعرتُ بحالةٍ من الرقّة؛ ولكنّني في هذه اللحظة، تذكّرتُ الأحقاد التي كانت لديّ من زوجها عليّ،

---

1. الإرشاد، ج ١، ص ١٨٦ و ١٨٧.

2 الهداية الكبرى، ص ١٣٤؛ إثبات الوصيّة، ص ١٣٠؛ الطرائف، ج ٥، ص ١٣؛ الاحتجاج، ج ١، ص ١٧٩ و ٢٠٨؛ الأمالي، المفيد، ص ٤٠٧؛ الأمالي، الطوسي، ج ١، ص ٧١؛ روضة الواعظين، ج ١، ص ٨٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٣، ص ١٥؛ تفسير القمّي، ج ١، ص ١٣٩.

وتذكّرتُ ما أصابنا من زوجها وأبيها، فضغطتُ على الباب»[1].

وَلَستُ أدري خَبَرَ الخِزانةِ سِرَّ المِسمارِ ** وكُنهَ الأسرارِ

ووَكزُ العَلِّ السِّكّينِ في جَنبَيها ** وأتى بِكُلِّ ما أتى عَلَيها

والبابُ والجِدارُ والدِّماءُ ** وهُدومُ صِدقٍ ما بِهِ خِفاءُ

ومِن ذُبوعِ الدَّمِّ مِن ثَدَيها ** يَعرَفُ عَظمُ ما جَرى عَلَيها[2]

سينه ای كز معرفت گنجينه اسرار بود ** كی سزاوار فشار آن در و ديوار بود؟![3]

[يقول: صَدْرُ غَدَا مِنْ لُجَيْنِ العِرْفَانِ كَنْزًا لِلأَسْرَارِ، هَلْ يَسْتَحِقُّ ضَغْطًا بَيْنَ البَابِ وَالجِدَارِ؟!]

---

1. حارس الأذوار، ج ٣٠، ص ٢٩٣ و٢٩٤، نقلًا عن دلائل الإمامة.

2. أبيات شعرية من: الأذوار المقدسة، الكمبانيّ، ص ٤٣.

3. ديوان الكمبانيّ، ص ٤٢.

نادت: «يا رسول الله! يا أبتاه! أهكذا يفعَلُ بحبيبَتِكِ؟!

تُضِفْ: «يا فضّة خذيني! أسقم ما فيّ أحشائي؛[1] فقد دَقّ سُقمي جنبي!

بالله لقد أسقطوا جنيني!».

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا آل محمّدٍ أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2].

اللهمّ عجّل فرجك، ونُصرتك، وتمكينك لأوليائك، وأعدائك يا

إله الحقّ! بحقّ محمّدٍ وأهل بيته الأطهار!

اللهمّ اغفر لنا وارحمنا، ولا تُنْتِج تعدّياً، واجعلنا ممّن يقبل عفوك يا

رحيم، وثبّتنا على الصراط المستقيم، وأعنّا على أداء حقوق الأئمّة

الهداة عليهم السلام.

اللهمّ لا تحرمنا من زيارتهم في الدنيا وشفاعتهم في الآخرة، انصر

الإسلام والمسلمين، واقمع الكفّار والمعاندين. اللهمّ اشفِ مرضى

المسلمين، واغفر

---

1. بحار الأنوار، ج ٣٠، ص ٢٩٤، نقلاً عن دلائل الإمامة، مع اختلاف يسير.

2. سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

لموتاهم وارحمهم، وعجّل في فرج إمام الزمان عليه السلام، واجعلنا من المنتظرين الحقيقيّين له.

بِالنَّبيّ وآلِهِ، وعَجّلِ اللهمّ في فرجِ مولانا صاحبِ الزّمان

اللَهُمّ صَلِّ عَلَى محمد وآل محمد